جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية

قسم اللغة والأدب العربي

ماستر 2 أدب

محاضرات مقياس علم النفس الأدبي(الأستاذة نسارك)

المحاضرة الأولى:

مفهوم المنهج النفسي :

ارتبط مفهوم المنهج النفسي و تطور في النقد الأدبي بمدرسة عرفت باسم "مدرسة التحليل النفسي" فهو المنهج الذي يستمد آلياته من نظرية التحليل النفسي التي أسّسها العالم النمساوي "سيغموند فرويد" فسر على ضوئها السلوك البشري برده إلى منطقة اللاوعي، فعلم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك العقلي" [1]

وهو كذلك المنهج الذي يخضع النص الأدبي للبحوث النفسية، ويحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسير الظواهر الأدبية، والكشف عن عملها، وأسبابها، ومنابعها الخفية، وخيوطها الدقيقة ومالها من أعماق وأبعاد وآثار ممتدة.

يمكن اعتبار المنهج النفسي ذلك المنهج الذي يستمد آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي حيث يعني بإخضاع النص الأدبي للبحوث النفسية إذ يتم تحليل نفسيات الكتاب وخصائص شخصياتهم بالاعتماد على كتاباتهم وحياتهم، وبتعبير آخر يمكن اعتبار المنهج النفسي في دراسة الأدب بمثابة فحص وتمحيص للنصوص الأدبية وربطها ارتباطا وثيقا بنفسية من أنتجها والأخذ بعين الاعتبار دواخل وكوامن الشخصيات والعقد النفسية التي قد تؤثر فيها وكذا المكتوبات التي تسعى إلى تفريغها من خلال عدة مسارات .

من هنا يتبين لنا أن المنهج النفسي يقوم على أسس ومعطيات علم النفس في معالجته للنص الأدبي وهذه المعطيات تقوم على نتائج الدراسات التي نهض بها علماء النفس ولقد تناول عدة قضايا ومواضيع من بين تلك المواضيع، نجد دراسة عملية الإبداع من حيث كيفية تولدها والظروف النفسية التي توافقها كما تعرف بنفسية المبدع الأدبي من خلال دلالات عمله الأدبي، كما تهتم بدراسة تأثير العمل الأدبي في نفسية الملتقى.

المنهج نفسه يدرس العمل الأدبي من بدايته إلى اكتماله من خلال الكشف عن العناصر الشعورية للمبدع والتي تظهر في أعماله ويعتمد في دراسته هذه على آليات يستمدها من مدرسة التحليل النفسي.

2/ مفهوم التحليل النفسي :

أصبح علم النفس يهتم بدراسة أحوال الإنسان النفسية بكامل تفاصيلها ومن كل منطلقاته السلوكية والانفعالية و لذا يمكننا أن نسميه علم الشمول لسلوك الإنسان، و لقد أصبح من ضروريات المجتمع أن يستعين به في كل المجالات الصناعية التعليم، الطب، التربية، ففضل علم النفس كبيرا في اكتشاف

الإنسان وأسباب الانفعالات والدوافع ودراسة الذاكرة واللاشعور ... وحتى الفروقات الفردية، ومازال علم النفس كباقي العلوم الأخرى يتطور، و يستعمل منهجه العلمي، أدوات تجعل نتائج الدراسة أكثر دقة وموضوعية، وحتى و إن تتابعت الأبحاث في اكتشاف هذا الميدان الذي كان يبدو غامضا، فهذا العلم بدأ موضوع دراسته للحيوان والإنسان ودراستهما، باعتبار خصائصها العامة ومميزات الإنسان والحيوان، ودراسة الإنسان ولم تقتصر على ما هو مرضي لكن السوي كذلك لما يدرسه الطفل والمراهق والراشد والإنسان داخل الجماعة أو بمفرده، وتبقى جذوره تمتد إلى الفلسفات القديمة والحديثة .

فالتحليل النفسي فرع من فروع علم النفس يغلب عليه الجانب التطبيقي، حيث يهتم بدراسة الظواهر السلوكية والاجتماعية والحضارية وفق منهج التحليل النفسي ونظريته، واللذين أقامهما فرويد منذ ما يزيد عن مائة عام، و لذا يعتبر التحليل النفسي من أقدم فروع علم النفس.

يعتبر التحليل النفسي نظرية حول النفس البشرية وممارسة علاجية في الوقت نفسه، والتي أسّسها سيغموند فرويد sigmund freud بين عامي 1856 و1939 ومازال المحللون النفسيون في مختلف أنحاء العالم يساهمون في تطويره .

ولعل أشهر ما يعرف به التحليل النفسي كونه طريقة خاصة من العلاج النفسي للأمراض النفسية والاضطرابات السلوكية، **(تمتاز عن سائر الطرق الأخرى بعمق تناولها لشخصية المريض أو المضطرب وصولا إلى أعماق أصوله وعوامله وأبعدها تاريخيا في شخصية المريض، يصاحب كل ذلك الكشف عن ديناميكية المريض وتطور أعراضه ووظائف كل منها، والأخذ بيد المريض حتى يصل هو نفسه إلى كل ذلك بحيث تملؤه القناعة بكل ما يكتشف أثناء تحليله النفسي، و يساعد المحلل المريض على الانتقال من مرحلة المعرفة إلى مرحلة الشفاء وفق قاعدة "إذ اعترفت استطعت"، حيث يأخذ بيده نحو تبني السلوك الأمثل والأصح وترك السلوك الأعوج للمريض الذي كان يتشبث فيه قبل التحليل، فإذا بالشفاء يواته والصحة تعاود تلقائيا عند المراحل النهائية من علاجه)** فرج عبد القادر طه ، أصول علم النفس الحديث ، و دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ط1999،4،ص45

وبهذا فإنّنا نجد أن لمدرسة التحليل النفسي التأثير البالغ في العالم وحيث امتد تأثيرها ليشمل الفن الطب والفلسفة والأنثربولوجيا والاجتماع والتربية والثقافة بعامة، منذ بدء انتشار أفكارها ومكتشفاتها في أوائل القرن العشرين حتى الآن، ويرجع الفضل في إنشاء هذه المدرسة إلى الطبيب والعالم النفسي النمساوي "سيغموند فرويد".

في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، " **شغل فرويد بالبحث المتعمق لاكتشاف أسباب وعوامل بعض الظواهر النفسية التي كانت آنذاك مستغلقة على الفهم والتفسير مثل الأحلام، والأمراض**

النفسية والاضطرابات السلوكية، ونجح عند ذلك في ابتداع منهج لدراسة كل ذلك و هو التداعي الطليق free association[1]" فرج عبد القادر طه، مرجع سابق، ص52، ولقد دخلت مقولات التحليل النفسي مختلف جوانب حياتنا الثقافية والعلمية والتطبيقية وأثّرت فيها تأثيرا كبيرا خاصة في المجال النظري و في المجال العلاجي .

المحاضرة الثانية: الشعور واللاشعور

تعدّدت اهتمامات فرويد خارج مجال الطب حيث أراد أن يصبح عالم تشريح أكثر من أن يكون طبيبا، إلا أن مشواره العلمي الأكاديمي، لم يبدأ إلا عام 1881 حيث سجل حصوله على دكتوراه في الأعصاب، وبدأ يتّسع في بحوثه حول الأمراض العصبية، كما تعاون مع أهم أطباء "فينا" (جوزيف برويز) على علاج الهستيريا من خلال التنويم المغناطيسى، ثم انتقل إلى فرنسا ليتابع المنحة التي أتيحت له، وهناك تنبأ أن المشكلات الجنسية يمكن أن تكون أساس الاضطرابات النفسية، وفي عام 1895 نشر كتاب "دراسات في الهستيريا" بالتعاون مع "برويز" حيث تناول موضوع الأعراض الهستيرية والصحة اللاشعورية للعقل.

إنّ ما يميز الشعور هو الحركة الدائمة التي تتميز بالتجدّد والتّغيّر، فهو لا يعرف الانقطاع وهذا ما أدى إلى اعتباره الأساس الوحيد للحياة النفسية وجوهرها. إنّ الشعور هو الوعي الكامل المتصل بالعالم الخارجي ويتكون من المدركات والمشاعر التي يعيشها الإنسان من ذكرياته لما حوله.

فالشعور هو أساس الحياة النفسية، وأنه لا توجد حياة خارج الحياة النفسية إلا الحياة الفزيولوجية، فالنفس لا تنقطع عن التفكير إلّا إذا تلاشى وجودها، والشعور هو جوهرها.

يقسم فرويد الحياة النفسية إلى ما هو شعوري"**واعي**" وما هو لا شعوري"**لا واعي**" لكشف وتبرير ما عجزنا عن فهمه، فاللاشعور هو ذلك الجانب العميق في داخلنا، يقول فرويد: " **إن تقسيم الحياة النفسية إلى ما هو شعوري وما هو لا شعوري هو الفرض الأساسي الذي يقوم عليه التحليل النفسي، وهذا التقسيم وحده هو الذي يجعل من الممكن للتحليل النفسي أن يفهم العمليات المرضية في الحياة العقلية...إن التحليل النفسي لا يمكن أن يقبل الرأي الذي يذهب إلى أن الشعور كخاصية واحدة للحياة النفسية**" نقلا عن فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثماني نجاتي، دار الشروق، بيروت،ط4، 1982،ص25.

توجد درجتان من اللاشعور هما: ما قبل الشعور ويتضمن ما هو كامن ولا شعوري ولكنه متاح الحصول عليه بطريقة عادية ومن السّهل استدعاؤه مثل الذكريات الشخصية للفرد، أما اللاشعور فيتضمن

الأمور والخبرات المكبوتة التي يتطلّب إخراجها إلى الشعور جهدا تحليليا خاصا، لما يحتويه من خبرات غير مرغوبة أو مؤلمة ويظهر أحيانا في الأحلام.

اللاشعور هو الاكتشاف الهام لفرويد ويتخذ مساحة كبيرة في الجهاز النفسي، ويحتوي على كل المكبوتات من الخبرات والعقد، ويصعب استدعاؤه وتذكر ما يحويه من خبرات إلا بواسطة الأحلام، ويؤثر اللاشعور على سلوك الفرد ويتجلى في أشكال كثيرة منها: الدورة الدموية، حركة الجفن، القشعريرة...وهذا لاشعور فزيولوجي، ومنها مواقف نفسية مثل الحب والكراهية...، أما من الناحية السيكولوجية فقد لاحظ فرويد أن المعرفة الطبية لا تكفي لتفسير أعراض الهستيريا، وهذا ما جعل الأطباء يعاملون المرضى بنوع من الخشونة والازدراء، فيتهمونهم بافتعال الأمراض، ومن جهة أخرى فالمرضى لا يتذكرون الحوادث المتصلة بأمراضهم، كمثال الفتاة التي تخاف من الماء ولا تعرف السبب وبعد التحليل النفسي وجدوا أنها غرقت في الماء عندما كانت صغيرة، ونست هذه الخبرة المؤلمة ولكن ظل الانفعال يلازمها عند رؤية الماء. ففي المريض قوتان؛ قوة نفسية تريد التذكر وأخرى ترفض ذلك والشفاء يكون مستحيلا دون القضاء عليه.

وعليه اقتنعوا أن معطيات الشعور غير كافية لفهم ما يحدث في النفس الإنسانية، لذا يجب استحضار اللاشعور، ذلك الجانب الخفي العميق داخل النفس الإنسانية. إن ما يميز الشعور هو الحركة الدائمة التي تتميز بالتجدّد والتّغيّر، فهو لا يعرف الانقطاع، وهذا ما أدى إلى اعتباره الأساس الوحيد للحياة النفسية وجوهرها، فالشعور هو الوعي الكامل المتّصل بالعالم الخارجي، ويتكوّن من المدركات والمشاعر التي يعيشها الإنسان من ذكرياته لما حوله. فهو أساس الحياة النفسية، ولا توجد حياة خارج الحياة النفسية إلا الحياة الفزيولوجية، فالنفس لا تنقطع عن التفكير إلّا إذا تلاشى وجودها، واللاشعور هو جوهر الحوادث النفسية. اللاشعور يحوي ما هو كامن أو مكبوت ومن الصعب استدعاؤه، وهو يكوّن معظم الجهاز النفسي، ويعتقد فرويد بأنه محدد سلوك الإنسان، فالفرد لا يكون واعيًا بالنشاط العقلي الذي يحدث في هذا الجزء من العقل، كما لا يستطيع استحضاره إلى الشعور، بل إنّ الفرد يقاوم ذلك، فمثلًا الشخص الذي يكره أباه ولا يعي ذلك، فهذا الكره يسعى دائما للتعبير والظهور في الشعور، إلّا أن هذا الشخص يبذل طاقة ليبقيها في مفهوم اللاشعور، وهذا يؤدّي إلى استمرار الصراع داخل الفرد وهو لا يعي ذلك.

وهو يكوّن معظم الجهاز النفسي، و يحتوي على ما هو كامن وليس متاحًا، ويرى فرويد أن مفهوم اللاشعور عبارة عن وعاء يشتمل على الذكريات المهدِّدة للعقل الواعي ويخزن فيه كلّ الخبرات والدوافع والغرائز التي لا نستطيع الوصول إليها، ويجب أن تدفع وتطرد بعيدًا، مثل المشاعر الجنسية والعدوانية نحو أحد الوالدين وآلام الطفولة المنسية والإساءات والحاجات والدوافع التي يكون الأفراد غير واعين لها.

ويرى فرويد إنّ العمليات العقلية ليست صدفة، إنّما هي عملية جسدية، وإن كثيرًا من السلوك والفكر يوجد دون معرفة واعية بالسّبب، لذا فهو يقسّم العقل إلى ثلاثة أجهزة، هي: اللاوعي والوعي وبين الوعي، وهناك تداخل بين هذه الأجهزة يظهر عند محاولة الشخص للتخلص من العنصر غير المرغوب به في الوعي، وقد ذكر بأن عناصر اللاوعي تعمل وفق دوافع أولية، وهي تخصّ الأطفال، إلّا أنّها تتطوّر وتصبح دوافع ثانوية تركّز على تأجيل تحقيق الرغبة، ومعرفة الحقيقة وعناصر البيئة المستحبّة؛ بهدف استغلالها للتخلّص من الطاقة البيولوجية "الليبدو". وبَيّن فرويد أنّه لو تَخيّلنا العقل يشبه جبلًا من الجليد، الجزء المرئي منه –فوق سطح الماء– والذي يعادل 9/1 من الجبل وهو يمثل الشعور، بينما الجزء المتبقي من جبل الجليد تحت سطح الماء والذي يُعادل 9/8 ويمثّل اللاشعور.

1- كيف يمكن دراسة اللاشعور؟ أو ماهي آليات التحليل النفسي؟

يرى فرويد أنه لا يمكن دراسة اللاشعور وفهمه إلّا من خلال الآتي:

–**الكبت:** يحتل الكبت مكانة كبيرة في حيّز اللاشعور والاضطرابات النفسية التي تظهر في السلوك في حالتي الاستواء والشذوذ، حتى إننا نراه ينجز أكثر ممّ ينجزه غيره من وسائل الدفاع، ويعني هذا أنه قادر على السيطرة على دوافع غريزية قوية تبقى أمامها كل الوسائل الأخرى غير مثمرة، بالإضافة إلى أنه الوسيلة الأكثر حظا إذ إنه يستطيع أن يقود إلى وضع أغلال حول الشخصية، ولهذا تكون وسائل الدفاع الأخرى أقل حظا لأنها تستطيع أن تتخطى حدودا أكثر اتساعا.فهو ظاهرة لاشعورية ويكبت الدافع قبل وصوله إلى الشعور، وذلك يعني أننا لا نعلم قط في اللحظة ذاتها فيما إذا كنا نكبت شيئا معينا.

يعتبر فرويد المؤسس الفعلي لنظرية الكبت، فقد جاء بتفسيرات مغايرة لسابقيه، مبينا أن المرض النفسي يعود إلى مجموعة من الرغبات المكبوتة، ففي النظريات السابقة كان ينظر إلى الإنسان بوصفه عملية آلية لا يستطيع ضبط نفسه، أما فرويد فقد كان يعتبر أن هذا الاعتقاد خاطئ، وفد تقدّم بنظرية تقول أن "**الأشياء التي نتذكرها والأمور التي ننساها على صلة بقيمتها وأهميتها بالنسبة إلينا، وهكذا فإن الأشياء المزعجة لنا نميل إلى نسيانها نسيانا مؤقتا وذلك بطردها من شعورنا، وهذا الكبت يهدف إلى حماية أنفسنا من المعلومات المؤلمة أو غير المقبولة، والحق أن فرويد يعتبر أن الكبت أساسي في احتفاظ الإنسان بصورة مقبولة عن ذاته**" كامل محمد عويضة، سيكولوجية العقل البشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص182.

–**التداعي الحر:** هو إطلاق العنان للأفكار والخواطر والاتجاهات والصراعات والرغبات والمشاعر في تلقائية دون قيد أو شرط مهما بدت تافهة أو مؤلمة أو محرجة أو معيبة، وإخراج هذه المكبوتات من

اللاشعور إلى حيّز الشعور حتى يمكن التعامل معها، أي تحرير الفكر من القيود والضغوطات مهما كان نوعها ليتسنى للشخص إخراج ما بداخله من مواد مكبوتة، من ساحة اللاشعور إلى حيّز الشعور، حتى يتمكّن الشّخص من التّعامل مع أفكاره بحيث لا تبقى حبيسة نفسه، وتترك للمريض الحرية الكاملة في سرد أفكاره دون قيود ودون توجيه أو ملاحظات من المعالج، وتكون الأخطاء والهفوات والزلات التي يتلفظ بها المريض ليست عشوائية، بل هي إشارات ودلالات حدثت في حياة المريض.

-**التنويم المغناطيسي:** هو إثارة حالة نفسية أو جسدية عامة عبر الإيحاء، وهو إيحاء متزايد عبر ضبط الحواس والإصغاء...، أي تعطيل الحواس عن المحيط الخارجي بهدف بعث الراحة في نفس المريض، حتى يتمكّن من أن يسمع أشدّ الهمسات خفوتا حين يبعثها المعالج، فهذا الإيحاء المتزايد يعزّز عملية التذكّر، فالمريض حين يُنوّم مغناطيسيا يستطيع أن يسترجع الحياة الدّفينة وأن يدلي ببعض الحقائق التي لم يستطع تذكّرها أثناء اليقظة.

-**الإيحاء أثناء اليقظة:** كان للتّنويم المغناطيسي انعكاسات سلبية، ومن بينها صعوبة إعادة الوعي للمريض، وكذلك صعوبة في بداية تنويمه، وهذا ما دفع بفرويد إلى تغيير هذه الطريقة وتعويضها بطريقة الإيحاء أثناء اليقظة، وهذا بإقامة روابط إنسانية متينة مع المريض، حتى تزول كلّ الحواجز معه، ليتمكن من التّصريح بكلّ الرّغبات التي يسعى إلى تحقيقها مهما كانت متعارضة مع القيم الاجتماعية، وهذا عن طريق كسب ثقة المريض، حتى تزول كلّ الحواجز بين الطّبيب والمريض بهدف تشجيع المريض على استرجاع الذكريات المدفونة في الجانب العميق والخفي في النّفس، حتى وإن كانت تعارض عاداته وتقاليده، والهدف منه هو تحقيق التوازن في نفس المريض ومتطلباته.

-**تفسير الأحلام:** إن الاهتمام بالأحلام قديم قدم النّفس البشرية، حتى أنّ الشّعوب البدائية كانت تعتقد أنّ الأحلام رسالة الآلهة إلى البشر، وكان أرسطو أوّل من أرسى وجهة النظر النفسية في دراسة الأحلام، وأنّها لون من النشاط النفسي، يصدر عن النائم بحسب الظروف التي يكون عليها في نومه، والحلم هو تفريغ عقولنا من كلّ هذه الانطباعات كي يوفّر لنا الراحة من عبء شحنات اليقظة بما فيها من خير وشر.

فالحلم ليس تكريرا لما نمرّ به أثناء اليقظة بل هو تفريغ عقلنا ممّا يدور في داخلنا من رغبات مكبوتة، نعجز عن التعبير عنها حتّى تتوفّر لنا الرّاحة، فالحلم نوع من الاستمرار لما يشغل النفس في حالة اليقظة، وكذلك هو اكتشاف الحياة الدفينة لدى المريض، وقد أرجع فرويد الأحلام إلى رغبة واحدة وهي الرغبة الجنسية، التي تبقى دفينة الأحلام وهي تمثيل رمزيّ للحاجات اللاشعوريّة المكبوتة والأمنيات والصراعات والتناقضات، ويتم من خلال تفسير الأحلام التي تتضمّن خيالاتٍ تمثّل حاجات ورغبات وصراعات لا شعورية عديدة، وفيما يأتي مثال على مادة لا شعورية تمثّل الموت، كما كان مُعبَّرًا عنها في

حُلم المريض: "كان المريض يجتاز منحدرًا عاليًا وجسرًا حديديًّا مع شخصين يعرف اسمَيْهما، ولكنّه نسيهما عندما استيقظ وفجأة اختفيا، ورأى رجلًا شبحًا يلبس قبعة ، وسأله فيما إذا كان ساعي البريد، إنه ليس كذلك أو المسؤول في القطار، لا! ثم استمر في الحلم، وكانت تتملّكه مشاعر خوف شديد في الاستيقاظ، ثم تبع ذلك بحلم أو خيال بأنّ الجسر الحديدي انكسر وأنّه سقط في الهاوية أو في جهنّم.

يعتبر فرويد الأحلام أهمّ عنصر من عناصر اللاشعور فيصفه بأنّه "**السبيل الملكي نحو اللاوعي**" وعدّه بمثابة الإشباع المتنكر لرغبة منسية، أو على الأقل محاولة إشباع تلك الرغبة، هذا الإشباع يضاف إلى تحقق أمنية أكثر راهنية باستعمال عناصر وأحداث اليوم السابق، فالحلم الذي يدرسه المحلل هو المحكي الذي ينتجه الحالم أثناء اليقظة، بدءا من اللحظة التي يسترد فيها وعيه؛ والحلم يكون مصبوغا باللذة أو بالانزعاج أو بنسبة متغيرة منهما معا، إنه الانفعال وإنه عمل يقوم به الحالم ويكون عبر مجموعة من العمليات هي:

-**التكثيف:** يكون الحلم مضاعفا أو شديد التحديد، ومن ثمة يمكن لكل عنصر- شخصا كان أو مكانا أن يكشف عن النقطة المشتركة المجهولة التي تعطي لهذا التكثيف معناه.

الإزاحة: تنفصل العاطفة عن التصور الأصلي وتنزاح إلى تصور آخر لا علاقة لها به، وهذا ما يجعلها تظهر بصورة غير مفهومة؛ يقول فرويد "**يتمركز الحلم في مكان مغاير وينتظم محتواه حول عناصر مغايرة لأفكار الحلم، لا يستطيع سوى التحليل إعانتنا على فهمها، وبصفة عامة ينقل الجوهري نحو موضع ثانوي، بينما قد تحمل جزئية صغيرة الكلمة المفتاحية، إن ما تُعلّمُنا إياه الإزاحة هو أنه عند مستوى العمليات الأولية(اللاواعية) لا تكون العواطف والتصورات مترابطة بصورة نهائية، فالعاطفة دوما على حق، غير أنها تنزاح وتنزلق من تصور إلى آخر، ومن هنا فالإزاحة إذن حاضرة دوما في عمليات تشكيل الحلم وخاصة في التكثيف. وباختصار، لا يعد الحلم سوى صورة مشوشة للرغبة المرجوة في اللاوعي**" ماريني مارسيل، النقد التحليلي النفسي، عالم المعرفة، الكويت،1997، ص57-58.

كانت نظرية الأحلام القاعدة التي أسّس عليها فرويد مدرسة التحليل النفسي، وكان هذا الأمر مؤثرا بشكل كبير في جوهر نظرية التحليل النفسي، وبناء عليها قدّم فرويد كافة المفاهيم التحليلية النفسية اللاحقة وصار يفسر مختلف الظواهر النفسية الفردية والجماعية بناء على منهجية في تفسير الأحلام، وكان الشعر والأدب والفن عموما أحد النتائج التي أخضع فرويد تفسيرها لنظرية الأحلام، فنظم الشعر عند فرويد يخضع للآليات نفسها في إنتاج الحلم، وهو ناتج عن آلية التسامي التي تقوم باستبدال هدف غير مقبول اجتماعيا بآخر يحظى بالقبول.

-زلات اللسان:

وهي أمثلة تعبّر عن اللاشعور، ومثال ذلك نسيان اسم شخص مألوف لديك، أو عندما ينادي الرجل زوجته باسم صديقة سابقة له، فإن الاسم الذي نطقه يمثل نوعا من الرغبات والصراعات.

-2بنية الجهاز النفسي عند فرويد:

لقد أولى فرويد الأهمية الكبيرة لشخصية الإنسان ونفسه إذ يرى أن المرء يمكن أن يعيش باستقرار ودنياميكية وبتفاعلية إنتاجية، ويمرّ بمراحل نفسية، وبطريقة سوية، بينما إذا تعرّض للمشكلات والصراعات فلن ينجح بالانتقال إلى المرحلة المقبلة من نفسه بمرونة، وبذلك يصاب بالاضطراب النفسي ومن هنا يعرف فرويد العقل البشري، على الأنظمة والمراحل النفسية التي تحكم النفس والشخصية البشرية كالتالي :

- الهو :

يمثل الشخصية عند ولادتها قبل أن تحدث عليها أية تعديلات نتيجة لاحتكاكها بالبيئة ولتراكم خيراتها وتجاربها وعلى ذلك فالشخصية عند ولادتها لا تكون إلا الهو فقط.

والهو هو المكان الذي يعبر عن طبيعة النفس البشرية الأولى بلا تحديث ولا تغيير، فهي النفس الجامحة للرغبة واللذة والشهوات، حيث لا قانون ولا عادات اجتماعية تسيطر عليها، يعتقد فرويد أن "الهو" هو المرحلة الأولى من مراحل النفس والشخصية حيث يسيطر اللاشعور واللذة عليها وبالتالي تتطلب الإشباع والحاجات والرغبات سواء حاجة جسدية كالطعام أو حاجة جنسية.

أي أن الهو هو مستودع الطاقة والغرائز، ويعمل وفق مبدأ اللذة أو طلب اللذة العاجلة بأية وسيلة وتفادي الألم دون اعتبار لواقع أو تفكير في العواقب، فبعد ولادة الطفل يبدأ احتكاكه بالواقع يمثل مبادئه وينصاع لقيوده، حتى يتعايش معه ويبدأ في النمو مع زيادة الاحتكاك بالواقع. يعتقد فرويد أن أصل كلّ الرغبات إنّما مردّها إلى غريزة واحدة وهي الغريزة الجنسية، باعتبارها أصل كلّ المكبوتات والغرائز والجوانب الخفية والعميقة من النّفس، لأن هذه الرغبات تدخل في صراع مع المثل والعادات والتقاليد والنظم الأخلاقية والتعاليم الاجتماعية، وفي غالب الأحيان تقمع وتكبت، وهذا ما نلمسه عند فرويد في تركيزه الكبير على الرغبة الجنسية كدلالة على حرمان المريض من إشباع هذه الغريزة.

إذا فان الهو يقصد به العالم الباطن، تختفي فيه كل الرغبات المكبوتة والمنسية بفعل العقائد والقوانين والأعراف. وهو الصورة البدائية للإنسان قبل أن يهذبه المجتمع.

2- الأنا :

ثاني مرحلة من مراحل الذات البشرية حيث تصبح شخصية المرء مرتبطة بالمجتمع وعاداته والقانون وكل ما يملي عليه العقل والمنطق، فتعيش النفس في مرحلة اعتدال بين الهو الجامح والأنا العقلاني كي تكون في حالة من الواقعية والراحة النفسية والعقلانية، إضافة إلى الاكتفاء الجنسي والعقلي،

كما أنّ النفس تلبي رغبات الهو خلال مرحلة الأنا و لكن بطريقة لا يرفضها المجتمع و بأسلوب بعيد عن الشهوانية بل بمنطق معتدل. بعمل الأنا وفق المبدأ، و تكون مهمته الأساسية المحافظة على الشخصية ضد ما تتعرض له من أخطار وإشباع متطلباتها بشكل لا يتعارض مع الواقع وظروفه، ويتكفل الأنا دون الهو والغرائز بالدفاع عن الشخصية وتوافقها مع البيئة وحلّ الصراع بين الكائن الحي والواقع، أو بين الحاجات المتعارضة للكائن الحي وينظم الوصول للشعور والى التعبير الحركي، ويضمن الوظيفة التنسيقية للشخصية.

أي أن الأنا تقبل بعض التصرفات من هذا أو ذاك وتربطها بقيم المجتمع وقواعده حيث من الممكن للأنا أن تقوم بإشباع بعض الغرائز التي تطلبها الهو ولكن في صورة متحضرة يتقبلها المجتمع ولا ترفضها الأنا العليا، مثال: عندما يشعر المرء بالجوع فإن ما تفرضه عليه غريزة البقاء (الهو) هو أن يأكل حتى لو كان الطعام نيئا أو باردا بينما ترفض "الأنا العليا" قيم المجتمع والأخلاق مثل هذا التصرف، بينما تقبل "الأنا" إشباع تلك الحاجة ولكن بطريقة متحضرة، فيكون الأكل نظيفا ومطهوا ومعدا للاستهلاك الآدمي ولا يؤثر على صحة الفرد أو يؤذي المتعاملين مع من يشبع تلك الحاجة.

-3 الأنا الأعلى :

يمثل الأنا الأعلى الضمير الحي الذي لا يموت، وهنا تكون النفس في أعلى درجات التحفظ والعقلانية والمنطق، حيث تتحكم أخلاق المجتمع والقانون والمبادئ بتصرفات المرء إذ لا توجد أية شهوانية، أو ردود فعل غرائزية والأنا الأعلى هو جانب من الأنا الذي يطالب الشخصية بالتزام المثل والأخلاقيات في أفعالها وسلوكها.

كما يصنف الأنا الأعلى بالمثالية والكمال، لا الواقعية ولا اللذة، وهو بذلك يعارض الهو أقصى معارضة كما لا يوافق الأنا أيضا، وإذا عاشت النفس البشرية في مرحلة الأنا الأعلى ستعاني من الاضطرابات والمشكلات السيكولوجية أو النفسية لأنها مرتبطة بشكل كبير بالجانب الاجتماعي للشخصية.

فالأنا الأعلى تشكّل البعد الأخلاقي والقيمي للشخصية، ويتمثل دوره في عمليات الكفّ لكلّ من رغبات الهو، ويصبغ الأنا بصبغة أخلاقية، تعتبر الأنا الأعلى جزءا من الشخصية يتكوّن من الدّين والعادات والتقاليد والعرف والمعايير الاجتماعية والقيم والحلال والحرام والخطأ والصواب والجائز والممنوع، وهو بمثابة الرقيب بالنسبة للفرد. وهو منطقة لاشعورية نفسية مكتسبة، وهو إلى حد ما أوسع من الضمير، وهو أحد مكونات الجهاز النفسي، يقول فرويد:"**فهي تقوم بملاحظة الأنا وإعطائه الأوامر وبمحاكمته وتهديده بالعقاب تماما كما لو كان يفعل الوالدان اللذان حلّت هذه المنطقة محلّها، ونحن نسميها منطقة الأنا الأعلى ونحن نشعر بها وهي تقوم بوظائفها القضائية باعتبارها ضميرنا**" سيغموند فرويد، معالم التحليل النفسي، 137.

والأنا العليا هي أنا مكبوتة بسبب التربية، وهي"أنا" تعرّضت للتوجيه وليست عفوية، غير أنها تتيح إمكانية وجود حياة مشتركة. وحسب فرويد فإنّ الأنا الأعلى هي نتاج للضغط الاجتماعي، الذي أرغم الأنا على التّكيّف مع العادات، وهي السيطرة الدّاخلية أو الرّقيب النفسي، ونوع من التحكّم الفردي الداخلي لسلوك الفرد، وإن لم يكن هناك رقيب خارجي، ويتكوّن من المثاليات والمعايير والقيم التي يقدّمها المجتمع وينمو نتيجة التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة من خلال تعاليم الوالدين وما يصاحب هذه التعاليم من عقاب وثواب ومن خلال المعايير والقيم الاجتماعية.

يقول فرويد:" **للأنا الأعلى نظامين هما الضمير والأنا المثالي، فالأول يمثل الأشياء التي يجب أن يكونها ووظيفة الأنا الأعلى التّحكّم في دفعات الهو المؤدية إلى سلوك مرفوض وغير مرغوب، فينفذ ويوقع العقاب، وهو سلطة تشريعية قضائية تنفيذية في وقت لاحق، والأنا الأعلى لا شعوري يكتسب عن طريق الخوف والاحترام والحب**" نبيل سفيان، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي، إيتراك للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص75، 76.

وعلى الرغم من المنطقية التي تحدث بها فرويد والتي عبر بها في نظرياته إلا أنّه تعرض لانتقادات حادة سواء من الباحثين في زمانه و من ماثله من النفسانيين، حيث اعتبروا أنه تجاهل أهمية الدور الاجتماعي والتربوي والأسري الذي يحيط بالمرء، وصب تركيزه على أمر واحد وهو موضوع الجنس والغرائز، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر أهمية نظريات فرويد وفضله الكبير في تطوير علم النفس.

المحاضرة الثالثة: التحليل النفسي عند ألفريد أدلر alfred adler (علم النفس الفردي)

1- لمحة موجزة عن حياة ألفريد أدلر:

ولد **ألفرد أدلر** سنة **1870** بفيينا ويعتبر من بين كبار علماء التحليل النفسي، ومن مشاهير أطباء فيينا، كان أحد تلامذة سيغموند فرويد المقربين بسبب دفاعه عن مبادئ التحليل النفسي، انتقد خصوم التحليل النفسي ورد بقوة من خلال العديد من المقالات، التي كتبها على المعارضين لأفكار فرويد، وقد وردت في البداية عند صدور كتابه " **تفسير الأحلام** ".

كان **أدلر** شخصية علمية نشطة في "**جماعة الأربعاء**" التي أنشأها فرويد خصيصا لمناصريه والمدافعين عن مبادئ التحليل النفسي ومنجزاته العلمية في مجال الطب النفسي، ويعتبر كاتبه "**نقص الأعضاء**" الذي طرح فيه أفكارا جديدة نقطة الخروج وبداياته عن تلك المسلمات الفرويدية، التي دافع عنها لفترات تاريخية معينة.توفي أدلر عام **1937**

2- القطيعة بين فرويد وأدلر:

بدأ الخلاف يدب ويتصاعد بين الأستاذ وتلميذه نتيجة مجموعة من الاعتراضات التي قدمها أدلر لبعض مسلمات التحليل النفسي، ومن بين أقوى هذه المسلمات تفسير فرويد لكل مظاهر وأشكال السلوك البشري على أساس الرغبة الجنسية " **اللبيدو**" مرتكزا في ذلك على " **عقدة أوديب** " المستلهمة من الأساطير اليونانية ومن فرضيات مرتبطة بالمجتمعات البدائية، التي كان يعتقد فريد أنها كانت تحكمها سلطة أبوية ترتب عن هذه السلطة الذكورية كبت الرغبات الجنسية وقتل الأب الذي كان يمتلك النساء ويحرم أبناءه من مشاركتهم التمتع بالنساء معه.

بدأ الانفصال بين **فرويد وأدلر** سنة **1911** حيث أسس أدلر نظريته الجديدة " **علم النفس الفردي** " وشرح طروحاته في كتابه " **نقص الأعضاء** " حول السلوك البشري وتطورت أفكاره في مجلة "**علم النفس الفردي**" وفي كتابه " **قانون العصاب**" .

ومن بين أهم الأفكار الجديدة التي أقرها أدلر في كتبه ومقالاته تتمثل في أن الرغبة الجنسية التي دافع عنها فرويد ليست كافية لتفسير السلوك البشري بمختلف أشكاله ومظاهره، وإن كان لها دور محدود في تفسير البعض من هذه السلوكات البشرية، فقد أولى عناية كبيرة بالأسرة وأبرز دورها الهام في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل وصياغته نفسيا ووجدانيا وعقليا واجتماعيا.

ومن هذه الزاوية تحديدا يرى أدلر أن وضع الفرد يقرره **العامل الاجتماعي وليس العامل العضوي** في الحاضر والمستقبل، أي أن العامل الاجتماعي هو من يصنع مشروع حياة ومستقبل الفرد. ويستنتج من خلال أبحاثه ودراساته أن **مركب النقص هو ما يفسر السلوك البشري**، حيث يدفع الفرد إلى **التعويض** باستعمال وسيلة ما لإبراز قدراته وتفوقه وتجاوز عجزه، وبالتالي **فالدونية والقصور والعجز هو ما يولد لدى الفرد الرغبة والطاقة والقوة لتجاوز مشكلاته عن طريق التعويض .**

وعلى هذا الأساس تقوم نظرية علم النفس عند أدلر على مفاهيم أساسية متداخلة ومترابطة تفسر جوهر السلوك البشري متمثلة في: **الشعور بمركب النقص والدونية والتعويض**، وهذه المفاهيم الثلاثة يترتب عنها مبدأ التفوق، ويمكن لغرض التوضيح أن نضرب هذا المثال: يمارس المعوق الرياضة بمختلف أنواعها ويحقق الانتصارات ويرفع التحديات إنه بذلك يحقق تفوقه ويعبر عنها لإثبات ذاته وحمايتها من الضياع النفسي والاجتماعي والوجودي.

رغم الخلاف بين فرويد وأدلر في طريقة إشباع الرغبات ومصادرها **من الغريزة الجنسية إلى الشعور بالنقص والتعويض إلا أنهما يتفقان على أن هناك ساحة أو طاقة أو قوة تدفع بالإنسان إلى إشباع رغباته وحاجاته المختلفة والتعويض عند أدلر آلية دفاعية تجاه العجز**، ويضرب أدلر أروع الأمثلة

عن بعض مشاهير العالم منها شخصية الموسيقار الألماني " **بتهوفن**"، الذي كان يعاني من ضعف في سمعه واستطاع رفع التحدي وتحقيق تفوقه في عالم الموسيقى.

إن أفكار أدلر هي في المحصلة نزعة داعية للتفوق والسيطرة، وبذلك يمكن تلخيص جوهر نظريته في علم النفس الفردي **أن إرادة القوة هي التي تشكل لا الحياة الجنسية المحرك الأخير للنشاطات الإنسانية وأن هذه الإرادة هي المسؤولة لا الحياة الجنسية عن الحالات العصابية .**

فنظرة آدلر للإنسان نظرة حقيقية عميقة، كما هو فلم تبالغ به وتجعله فوق منزلة، ولم تنزل به ليكون كالحيوان أو كالآلة وأتى بمفاهيم تكاد تشكل المحاور الرئيسية لأي إنسان على وجه الأرض، الذات الخلاقة، أسلوب الحياة، عقدة الشعور بالنقص، والقصور، الشعور الاجتماعي، وكان تحليله النفسي يقوم على مجموعة من العناصر نلخصها فيما يلي:

أ- الذات الخلاقة :

ينظر "أدلر" للذات الخلاقة بأنها الرأس أو الهرم لأعماله **(ولاشك أن هناك أناس يفضلون الموت على الكفاح والعمل ضد المعضلات الخارجية القاسية التي يواجهونها، ذلك لأنهم يخشون لغرورهم وكبريائهم الفشل في حل هذه المعضلات، هؤلاء هم أنفسهم الذين يرغبون بشكل أبدي أن يضلوا في أحضان أمهاتهم وأن يقوم الآخرون بالعمل الموكل إليهم بدلا عنهم، هم المذلولون، ذوو النفوس الصغيرة التي لا طائل منها في حياة تستوجب العمل والصراع المرير كي تأخذ معناها ... إن الشعور بالرضى والألم الذي يرافق هذا الصراع ليس سوى عامل مساعد للفرد في طريقه والبحث الخالص عن الأمان هو الذي يدفع الفرد إلى الانتصار على الواقع الحالي الماثل أمامه، وذلك من أجل فرض واقع أفضل فالحياة البشرية تصبح دون الحضارة هذه التي لا تتوقف عن دفعها للأمام).** ألفريد آدلر، معنى الحياة، دار الفرقد للنشر والتوزيع، دمشق، 2019، ص145.

إذا فان الذات الخلاقة بحسب "أدلر" هي التي تجعل للحياة هدفا ومعنى وتجعلنا نشعر بالطاقة وتحركنا نحو تحقيق الأهداف، وأنه لا تخلو دراسة تصور الفرد عن معنى الحياة من الفائدة لأنه وفي نهاية الأمر هي القاعدة التي تؤطر تفكيره وانفعاله ومن ثم نشاطه، لكن المعنى الحقيقي للحياة يكتشف في المقاومة التي يواجهها الفرد عندما يتصرف تصرفا خاطئا.

ب-أسلوب الحياة :

هو الذي يجعل الفرد يتكيف مع بيئته ويواجه العقبات التي تعترضه في حياته، وتحقيق الإنسان لأهدافه وهو الذي يجعل الأطفال كذلك يناضلون بطرق وأشكال فردية من أجل تحقيق الكمال والتفوق.
يشير ألفريد إلى أن أسلوب الحياة يمكن أن يفهم من خلال مراقبته كيفية قيام الأفراد بمعالجة ثلاثة مهمات رئيسية مترابطة: **المهنة، المجتمع، الحب.**

كمثال عن ذلك، الطفل الذي ينتقد كثيرا من قبل الأطفال الآخرين في الحي، غالبا ما يطور أسلوبا لفظيا معينا للتعامل والتأثير على الأطفال الآخرين والتحايل عليهم، ومن ثم فان هذا السلوك يمكن أن يعوض عن النقص الذي تعرض له الطفل جراء انتقادات الآخرين له، ويعتقد آدلر أن أسلوب الحياة يرتكز على التغلب على سلسلة من القصور والنواقص لدى الفرد، ومعظم هذه الأمور يمكن أن تنشأ في سن الرابعة أو الخامسة من العمر وبالتالي من الصعب على الإنسان تغيير أسلوب حياته بعد في هذه الحياة.

د- الشعور بالنقص:

يرى آدلر أن الشعور بالنقص هو الذي يحرك الإنسان نحو التميز ومحاولة الوصول للكمال، والنقص يشمل النقص الجسمي والعقلي والاجتماعي الحقيقي أو المتوهم، وكما يعتقد أن جميع الناس يمرون بمشاعر النقص، ولكن منهم من تدفعه تلك المشاعر للنجاح والتميز ومنهم من يكون سببا في إصابته بالشعور النقص.

هـ- الشعور بالدونية :

اهتم آدلر في دراسته النفسية بالفوارق الفردية التي تسعى إلى تحديد الخصائص السكيولوجية الفردية من خلال السلوك الاجتماعي الذي من شأنه أن يبيّن طرائق النشاط النفسي الناتجة عن هذا السلوك، خلافا ليونغ الذي توجه إلى طبيعة اللاشعور والرمزية في نقده للأسس النظرية للتحليل النفسي الكلاسيكي. اتجه أدلر إلى الشعور بالنقص الذاتي للكائن البشري وما يدعى بآليات التعويض أو التعويض الأعلى.

أي أنه بفعل التأثيرات المباشرة لما يدركه المرء من نقص أو قصور نفسي أو فسيولوجي يصبح القصور عند أدلر قوة وهّاجة لتحريك مشاعر الفنان وعاملا فعّالا لنشاطه الإبداعي الناتج عن مبدأ قانون التعويض النفسي الذي يقابل مكان الرغبات الجنسية عند فرويد، ويبدو أن الفنان في نظر أدلر يخضع لنزوع اللاشعور من حيث كونه قوة دافعة لرغباته الطموحة إلى مبدأ إرادة التفوق في محاولة إثبات الذات وتأكيد الوجود.

ترتكز نظريته على نمو الشخصية فكلّ إنسان يبدأ منذ ولادته ومراحل نموه إلى بلوغ الكمال أو الاقتراب منه، ويتّجه دائما إلى الأعلى متخطيا مرحلة الضعف، محققا القوة، فمثلا الطفل الصغير تدفعه رغبته الجامحة دائما نحو تحقيق الانتصار والقوة والنجاح وإثبات الذات.

وهكذا ركّز آدلر وأبرز أهمية التعويض الزائد، كوسيلة من وسائل التوافق التي تلجأ إليها الشخصية لعلاج موقف الإحباط الذي تكون فيه.

المحاضرة الرابعة: التحليل لنفسي عند شارل مورون

1-من هو شارل مورون؟

كاتب وناقد ومترجم فرنسي، ولد 1899 Saint-Rémy-de-.Provence، وتوفي 1966، وقد كان متزوجًا من الكاتبة ماري مورون (1896 – 1986. كان يترجم المؤلفات من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنجليزية المعاصرة، درس العلوم بكلية مرسيليا وبعدها أصبح أستاذًا مساعدًا في الكمياء، لكن تَدهورَ بصرِه أجبره على التقاعد والعودة إلى الريف، وتحول اهتمامه إلى أمور أخرى. مع مطلع ثلاثينيات القرن الماضي بدأ اهتمام **مورون** بدراسة الأدب، مستفيدًا من التحليل النفسي، ومعتمدًا على أبحاث فرويد في ذلك.

مؤلفاته:

•ملارميه الغامض، 1938. اللاوعي في أعمال وحياة راسين، 1957.

•الاستعارات الملحة والأسطورة الشخصية، 1962. النقد النفسي للفن الكوميدي، 1964.

•فيدر، 1968.

أسهمت هذه الكتب في بلورة صورة لانسجام النقد الأدبي والتحليل النفسي، فمورون – كما يقول سمير سعيد حجازي – جمع بين المذهبين في رؤية واحدة: "إذا كان اللقاء بين النقد الأدبي وعلم الاجتماع، قد تحقق على يد لوسيان جولدمان، فإن التلاقي بين النقد الأدبي والتحليل النفسي، قد تحقق على يد شارل مورون، وقد تكونت لديه ثقافة علمية وأدبية في وقت معًا.

-3 كيف نظر مورون إلى الأعمال الأدبية وكيف قدم منهجه؟

قبل الوقوف على نظرة مورون إلى الأعمال الأدبية لا بد من التطرق إلى الجهاز المفاهيمي الذي وظَّفه مورون حتى يتسنَّى لنا فهم تصوره للأدب والأديب معًا.

إن رواد المنهج النفسي كانوا عالة على فرويد؛ المُنظِّر الأول للمنهج النفسي في الفكر الغربي، حيث استمرّ جميع النقاد على الاعتماد على المعطيات التي قدم فرويد، لكن لا ننكر وجود بعض الاختلافات البسيطة، وغير ذلك، فإن المنهج النفسي يصب في وعاء واحد، و أبرز مفهوم عند مورون هو:

•**الأسطورة الشخصية:** التي هي تلك الصور والاستعارات المتكررة التي تخلق الطابع المميز لمجموع الأعمال الأدبية للمبدع.

فهذه الصور المهيمنة على مجموع أعمال كاتب واحد هي ما يسميه مورون بالأسطورة الشخصية، ومنه فإن موضوع النقد النفسي عند شارل مورون هو شخصية المبدع من خلال الأسطورة الشخصية.

إن شارل مورون وقف عند شخصية المبدع وتاريخها، لكنه لم يغفل الوسط الاجتماعي واللغة وتاريخهما ودورها جميعًا في تشكيل الإبداع الأدبي، فرفض تصور فرويد حين اعتقد أن الأعمال الأدبية مجرد تعبيرات عن لا شعور مرَضي في الغالب، فاقترح بديلاً وهو النقد النفساني، ويكون عمل الناقد على النص مركزًا على الصور المكونة لشبكة من التداعيات والدلالات المتصلة باللاوعي، والمحيلة عليه في لا وعي الأديب، قصد فهم النص بالدرجة الأولى وليس إثبات عصابية المبدع ومرضيته.

إن الجديد الذي أتى به مورون هو دراسة الصور الملحة ذات البنية الاستعارية في العمل الأدبي بطريقة سيكولوجية لا شعورية، هدفها الوصول إلى الأسطورة الشخصية لدى المبدع، والحاصل من هذا – حسب مورون– هو فهم النص، لذا جعل الأدب وسيلة لفهم أعمالهم، وهكذا دعا مورون إلى ضرورة الانطلاق من النص الأدبي، وجعل حياة المبدعين في خدمة وفهم نصوصهم الإبداعية.

إذًا، فغاية شارل مورون في البحث عن الأسطورة الشخصية هي فهم الأعمال الأدبية، فنجده ينطلق من النص الأدبي، يلتقط الصور والاستعارات المتكررة في الأعمال الأدبية، ويبحث لها عن مقابل في حياة المبدع ليعود مرة أخرى إلى النص، ويثبت ما توصل إليه في القراءة الأولى للنص.

والخلاصة أن العملية الأولى تقوم على الاستنباط والمقارنة، لتعود العملية الثانية إلى النص بطريقة عكسية لفهمه من خلال المعطيات الأولى.

ومن هنا، عاب شارل مورون على فرويد غايتَه العلاجية في استحضار حياة المبدع وهدفه في إثبات مرضه.

إن بنيات النص حسب تصور مورون والنفسيين هي تعبير عن الشخصية اللاواعية للكاتب أو الأديب شرط أن ترتبط بمعطيات في حياة الكاتب.

منهجه في النقد النفسي:

–قراءة النص، وكشف أسرار اللاشعور للكاتب، ومن ثَمَّ تفسير آثاره وهي عملية مبدئية رهينة بالمراحل التالية:

1–القيام بعملية تنضيد النصوص، وتحليل المحتويات الشعورية بغرض كشف علاقات خفية تزداد أو تخف درجة لا شعورها.

2– إظهار شبكة التداعيات ومجموعات من الصور الملحة بمعنى الوقوف عند الأسطورة الشخصية، فيرى مورون أن كل إنتاج أدبي يحتوي على مجموعة متباينة من الصور تشكل في خصائصها الجوهرية الصورة الأولى المحركة، والتي هي منبعها حياة المبدع.

3–إيضاح العوامل الاجتماعية التي تلعب دورها في تكوين الشخصية الأسطورية للكاتب، وربطها بمراحل في حياة الكاتب لإثبات المقدمة الأولى والفرضيات القرائية الأولى.

وأخيرًا:

إن أفق القراءة النقدية كما يقول سعيد بنكراد: "**استكناه البنيات العميقة المتوارية وراء المادة السطحية، وإضاءة البنيات اللاشعورية المتسترة خلف البنيات اللغوية الشعورية**"، وهذا ما حاول رواد المنهج النفسي الترويج له، لكن نتساءل: أليس هذا استنطاقًا متعسفًا للنصوص؟ وبأي حال من الأحوال فإن المنهج النفسي وقع في مزالق كثيرة أهمها:

– اهتمام المنهج النفسي بالمبدع وإغفال النص الأدبي.

–إخضاع العمل الأدبي للتحليل الإكلينيكي.

–إذا كان الإبداع ناتجًا عن" لا وعي "المبدع المتمثل في مكبوتات مرضية، ونزوات من الماضي، فأين حضور الشعور عند المبدع؟

–إن الأدب ليس دائمًا تعبيرٌ عن الذات؛ لأنه لا يمكن بأي شكل إنكار الصنعة في الأدب وإسقاط نظرية المنهج النفسي عليه؛ ولأجل هذا يبقى المنهج النفسي قاصرًا عن تحديد العَلاقة بين المبدع والعمل الأدبي، وإثبات كل الخلفيات وراء العملية الإبداعية؛ لأن المبدع بكل بساطة لا يقول كل شيء، والمسكوت عنه أكثر مما يقال في ثنايا النصوص .

المحاضرة الخامسة: لا وعي النص

ظهرت خلال سبعينيات(70) القرن العشرين محاولات جادة تبحث في علاقة التحليل النفسي بالنقد النفسي، متجاوزة تصولات شارل مورون وجاك لاكان النقدية التي استفادت من النظريات اللسانية والبنيوية في ضوء تجديدها الدرس النقدي النفساني، إذ تسعى هذه المحاولات إى تطوير وترشيد علاقة التحليل النفسي بالنقد الأدبي مستلهمة في هذا الطموح المعرفي نظريات ما بعد البنيوية خاصة نظرية التلقي اقترحت تصورا جديدا لعملية مقاربة النصوص الأدبية، مفاده أن المعنى ليس جاهزا في ذهن المؤلف أو كامنا في النص الأدبي، بل هو وليد تفاعل القارئ مع بنياته التخييلية وحصيلة صيروراته التأويلية، بهذا المعنى تم إحلال الذات القارئة محل الذات الكاتبة أثناء فعل القراءة. وفي هذا السياق تتجلّى أهمية أبحاث الناقد الفرنسي **جان بيلمان نويل** كونه وضع رهانا معرفيا متعلقا بامتلاك النصوص الإبداعية للاشعور خاص بها. فن يكون جان بيلمان نويل؟

1-جان بيلمان نويل:

هو ناقد نفساني فرنسي، ولد بفرنسا سنة 1931. درس الآداب والقراءة النفسانية للنصوص بالجامعة الفرنسية إلى حدود 1992. اعتمّ بمقاربة أعمال أدبية حديثة، ونصوص شعبية حكايات خرافية لتشييد تصوّر منهجي لمقاربة البعد النفسي داخل النصوص الأدبية. من أهم كتبه:" التحليل النفسي والأدب"1978، " النص وما قبل النص" 1972،"نحو لا وعي النص" 1979،" غراديفا بالمعنى الحرفي" 1983، "أن تقرأ بكلّ لا وعيك" 2011، فهذه المنجزات حدّدت المسار المنهجي له، وهذا ما جعل النقاد يعترفون بأن مشروعه النقدي في النقد النفسي المعاصر يعدّ من المشروعات الأكثر أهمية في الربع الأخير من القرن العشرين والألفية الجديدة، وذلك بفضل نوعية القراءات المقترحة، وبفضل تلك الحدّة في التصور النظري والمنهجي الذي كان يصاحب دوما تلك القراءات، في حوار متواصل مع مختلف علوم النص ومع نظريات التحليل النفسي المعاصر.

2-الخلفيات المعرفية لجان بيلمان نويل:

أطرت نظريات ما بهد البنيوية التصوّر المنهجي الذي اقترحه جان بيلمان نويل، فعلاوة على إعادة النظر في النموذج النقدي الذي اقترحه جاك لاكان، وتجاوزه النظرية الفرويدية كونها تهتمّ بالمبدع دون النص الأدبي، وانتقاده لنموذج شارل مورون الذي انطلق من التصوّر البنيوي للنّص الأدبي، إلّا أنّه على صعيد

الممارسة النقدية يهتمّ بلا شعور المبدع، فقد استلهم نظرية التلقي كنظرية منحت السّلطة للقارئ لإنتاج الدّلالة المحتملة، وبهذا أشركت الذات القارئة في فعل القراءة قصد تأويل النصوص. كما استفاد من أيضا من التداولية كحقل معرفي يهتمّ بما أهملته اللسانيات، ويعني بعلاقة اللغة بمستعمليها، والنظر إلى اللغة ككيان منفتح على المقاصد الضمنية لمستعملي اللغة، وانفتح على لسانيات التلفظ التي تهتم بفعل تحوّل اللغة إلى ملفوظ بواسطة متلفظ.

3-التصوّر المنهجي لجان بيلمان نويل: من التّصوّر المنهجي إلى لا وعي النّص:

يندرج التصور المنهجي لجان بيلمان نويل ضمن منظور يجعل النّص الأدبي يتمتع باستقلاليته، مقترحا مقاربة تقوم على أساس التحليل النّصي، مستهدفا" تشييد مقاربة نفسانية للنصوص الأدبية تنطلق من أن لكلّ نص لا وعيه"، وبهذا يتجاوز أطروحة بيبليوغرافيا المؤلف والعقد النفسية والأسطورة الشخصية، فباقتراحه التحليل النصي يؤكّد هدفه المتمثل في تجاوز الاهتمام بالمؤلف ولاوعيه إلى الاهتمام بالعمل الأدبي في حدّ ذاته، وفي هذا النطاق صاغ بيلمان فرضيات ارتهن بها تصوّره المنهجي وأهمها:

-النص هو الذي بواسطته يكون الإنسان مختلفا، والاختلاف يكون هنا بالذات بلا نهاية ذلك أن الكتابة غيرية.

أن النص لا يكون مقروءا إلا داخل فضاء النصية، ويهني ذلك أنه يقع خارج الواقع وخارج السببية.

ومن هذا المنظور فقد بلور **جان بيلمان نويل** نموذجا نقديا لمقاربة النصوص الإبداعية مستبعدا في ذلك كل التعليقات والفرضيات والصور التي كانت ترسم للكتاب قبل الشروع في دراسته نتاجاتهم والاقتصار على المكونات الداخلية للنص الأدبي.

وقد أجمعت الدراسات النقدية أن بيلمان نويل قد أغنى النقد النفسي للأدب عبر اقتراحه مصطلح لاوعي النص، مؤكدا بان لكل نص إبداعي لاوعيا خاصا به، يتجلّى عبر تمفصلاته الداخلية النصية، وتتضح أهمية هذا اللاشعور النصي في كونه يتحقق ن خلال تفاعل القارئ مع انص واهتمامه بتأويل بياضاته وفراغاته تاويلا نفسيا متسقا على اعتبار ان المعنى يتّضح مع القراءة، وبهذا نجده قد أبعد المؤلف عن فعل القراءة، والبحث عن لاوعي النص مع الخلفيات المعرفية للذات القارئة التي تصبو إلى استجلاء البنية النفسية للنص وتصوره الخاص.

وقد توصل نويل إلى فكرة اللاوعي النصي انطلاقا من دراسته للنصوص الشعبية المجهولة المؤلف، والتي يستحيل البحث فيها عن سيرته وانعكاساتها في الآثار الأدبية ، لذلك فالقارئ بتفاعله مع النص يتمكن من

اكتشاف لا وعي النص من خلال نظامه الرمزي، فقد طرح هذه الفكرة واستلهامها في كتابه"الحكايلت الشعبية واستيهاماتها"سنة1983.

4-مفهوم لا وعي النص: هو مفهوم مركزي في التصوّر المنهجي لجان بيلمان نويل، بلوره في سياق اهتمامه بالنص الأدبي كما جاء في كتابه" نحو لاوعي النص"، ينطلق من تصوّر النّص رسالة يتمحور عبرها اللاوعي، فلاوعي النص بنية ثانية ومستقلة عن القارئ والمؤلف، يمكن الوصول لضبطها متى تحققت شروط التفاعل مع مستوى التواصل مع النص وتأويل بياضاته تأويلا نفسيا، فلاوعي النص تفاعل داخلي يتم فيه تبادل الأدوار بين الدلالة والتأويل، وفي سياق عدم تقبل أهل الاختصاص لهذا المصطلح فقد أعاد نويل النظر فيه محددا مهنى لا وعي النص في أنه استغلال لاواعي للنص، وعي الصيغة التي لقيت الكثير من القبول.

5-كيف يمكن الوصول إلى لاوعي النص:

يمكننا الوصول إلى لاوعي النص من خلال التعامل مع الكلمات، والبحث في المسكوت عنه والمضمر، وفي البياضات الفاصلة بين الجمل والمقاطع، وهذا بتجاوز البنية السطحية للنص.

6-مآخذ التصور المنهجي لجان بيلمان نويل:

ترى معظم الدراسات التي راجعت الخطاب النقدي المعاصر أن هذا التّصوّر المقترح، رغم الجهود المبذولة إلا أن مفهومه للاشعور النص لا يبدو مقنعا، كونه لم يطرح منهجية إجرائية تستثمر للإمساك بلاوعي النص، وهذا ما جعل دراساته التطبيقية على النّص الروائي "بحثا عن الزمن الضائع" لبروست، وتطبيقاته على النص الشعري لأشعار بعض الرمزيين أقرب إلى الحدس والانطباعية منها إلى التّصوّر العلمي والمنهجي الدقيق، فلاوعي النص شيئ غير قابل للتجديد.